

DOI: 10.54240/2318-012-002-015

دور الرياضة القتالية في التنشئة العسكرية للمماليك البحرية

(784-648هـ/1250-1381م)

The role of combat sports in the military education of the Maritime Mamluks

(648-784 AH/1250-1381 AD)

صص 264-285

اسم ولقب المؤلف المرسل: كريمة سونة- Karima Souna

الدرجة والعنوان المهني: طالبة دكتوراه- مختبر المؤسسات الجزائرية ودورها في التنمية الوطنية-
جامعة الجيلالي بونعامة- خميس مليانة- الجزائر.

البريد الإلكتروني: Ksouna@univ-dbk.m.dz

تاريخ استقبال المقال: 2022/05/18... تاريخ المراجعة: 2022/06/05... تاريخ القبول: 2022/06/27...

الملخص: تعتبر التنشئة العسكرية للمماليك البحرية (784-648هـ/1250-1381م) الأساس الذي ارتكزت عليه قوتهم، حيث كان السلاطين في مصر يجلبونهم من بلاد ما وراء النهر عن طريق تجار المماليك وهم صغار السن، ويتم إخضاعهم إلى نظام تربوي دقيق ترجع أصوله إلى السلاجقة والفاطميين والأيوبيين، إلا أنه في عهد دولة المماليك البحرية اكتمل وبلغ أوجه، ويبدأ هذا النظام بالفحص الطبي، ثم الإقامة في "المدارس العسكرية" المعروفة بالطباق أين يتم تهذيبهم بأداب الشريعة الإسلامية، من خلال الحرص على تعليمهم وهم صبيان القرآن الكريم، واللغة العربية والخط، وكذا تلقينهم آداب الشريعة، وملازمة الصلوات والأذكار والتخلق بأداب الإسلام.

وكان للرياضة القتالية دورها في هذه التنشئة، حيث يبدأ المملوك في سن البلوغ تعلم الفنون الحربية بشكل نظري في مقدمتها الفروسية التي تمر بعدة مراحل: بداية بركوب الخيل وصولاً إلى التدريبات الرياضية القتالية، وبعد الانتهاء من طور التدريب يصبح المملوك جاهزاً للتخرج بعد أن تهذبت أخلاقه واصطبغت آدابه بروح الإسلام، مع براعته في فنون القتال، وتكون مكافأته في النهاية العتق الذي يكون جماعياً، ويقام له احتفال خاص

بحضور السلطان، بناءً على شهادة تسمى إعتاق أو عتاقة، ويواصل تمرّنه على الألعاب القتالية للحفاظ على لياقته، مثل لعب الصّولجان، والقبق، والصّيد... وسباق الخيل، ويظل جنديًا موظفًا يترقى في سلك الرتب حتى يصل إلى الإمرة، وقد يصل إلى عرش السلطنة.

الكلمات المفتاحية: المماليك البحرية؛ التنشئة العسكرية؛ الفروسية؛ سباق الخيل؛ لعبة الكرة بالصّولجان؛ لعبة القبق؛ الصيد؛ الميادين؛ السباحة؛ الرياضة القتالية.

Abstract : *The military education of the Maritime Mamluks (648-784 AH/ 1250-1381 AD) was the basis for their strength, as the sultans of Egypt brought them through when they were young, and they are subjected to a careful educational system whose origins go back to the Seljuks, Fatimids and Ayyubids, which was completed and reached its peak in their era, this system begins with a medical examination, then residence in the "military schools" known as "Tibaq", where they are educated in the ethics of Islamic law, and the Holy Quran, Arabic language and calligraphy, then the etiquette of Sharia.*

Martial sports had a role in this education, as the mamluk at the age of puberty begins to learn martial arts, starting with horseback riding, leading to training in combat sports, and after completing the training phase, the mamluk becomes ready to graduate after his morals have been refined, and his reward at the end is a collective emancipation and a special celebration. is held for him in the presence of the Sultan, based on a certificate called "etaqe" or "etaqam, then he continues his training, until he reaches the command, and may even reach the throne of the Sultanate .

Keywords: Maritime Mamluks; Military education; Horse riding; Horses race; Polo; Stroller game; hunting; fields; swimming ;combat sports.

المقدمة: كثيرًا ما ارتبطت الرياضة على اختلاف أنواعها بالجانب الصّحي للإنسان وبالنشاط الترفيهي الذي يمارسه في أوقات فراغه، وكانت منذ القديم ولا زالت إلى يومنا هذا تحظى بالعناية والاهتمام الرسمي والشعبي، فأقيمت لها دورات و أماكن خاصة لممارستها ولمن يتفرّج عليهم، وفي عصر ازدهار الحضارة الإسلامية كان للرياضة شأنها، فيروى عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله: «علموا أولادكم السباحة والرماية، ونعم لهو المؤمنة في بيتها الغزل»¹، وكذلك يؤثّر عن الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه (ت23هـ/643م) أنه كتب

1- سنده ضعيف رواه ابن منده وأبو موسى عن بكر بن عبد الله بن الربيع الأنصاري، جامع الأحاديث، جلال الدين السيوطي، 14175

إلى أهل الشام: «أن علموا أولادكم السباحة والفروسية»¹، ومعروف أن الخليفة الأموي عبد الرحمن الداخل الشهير بـ "صقر قريش" (138-172هـ/755-788م) تمكن من النجاة من ملاحقة العباسيين له عن طريق العبور سباحة في نهر الفرات.

وربما ارتبطت الرياضة بالتسلية والترفيه في تاريخ المسلمين، غير أنها كانت ذات أهمية عسكرية بالغة في عهد دولة المماليك البحرية (648-784هـ/1250-1382م)، فهي ضرورة لتكوين الجندي المملوكي، وهنا تكمن أهمية الموضوع، والإشكالية التي تعالجها هذه المداخلة هي: ما هو الدور الذي لعبته الرياضة القتالية في التنشئة العسكرية للمماليك البحرية؟ وما هي أبرز الألعاب الرياضية التي مارسوها؟ وتم دراسة الموضوع من خلال إتباع المنهج التاريخي القائم على الوصف والتحليل.

1- أصل المماليك: كلمة ممالك مفردتها مملوك وهي اسم مفعول مصدرها الفعل الثلاثي "مَلَكَ"²، والمماليك في اللغة : «هم العبيد أو الرقيق، وبخاصة هم الذين سبوا ولم يسب أبائهم ولا أمهاتهم، والمملوك... هو العبد الذي يُباع ويشترى (والعبد الذي سُبِيَ أبواه يعرف بالعبد القن وليس المملوك)»³، وورد لفظ مملوك في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿صَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَن رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَؤُونَ الْحَمْدَ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾⁽⁴⁾.

وجاء في المعجم العسكري المملوكي أن: «لفظ المملوك يطلق على الرقيق الأبيض المولود من أبوين حُرَّين، وجُلِب إلى بلدان العالم الإسلامي بواسطة تجار المماليك من مواطنه المختلفة، وتمّ بيعه في أسواق الرقيق ووصل إلى أيدي الحُكّام والسلاطين، ثم أُعتق ودخل

1- أخرجه أبو يعقوب إسحاق السرخسي الهروي المعروف بالقراب (ت429هـ/1037م) من طريق مكحول الدمشقي في رسالة فضائل الرمي في سبيل الله، رقم15.

2 - سعيد عبد الفتاح عاشور - العصر المملوكي في مصر والشام- ط2- دار النهضة العربية- القاهرة- 1976م- ص11.

3 - سامي بن عبد الله بن أحمد المغلوث- أطلس تاريخ العصر المملوكي، ط1- مكتبة العبيكان- الرياض- 1433هـ/2013م- ص11.

4- سورة النحل، الآية 75.

في الجيش جندياً وفارساً وتدرج في مراتب الإمرة والقيادة حتى الوصول إلى السلطنة نفسها¹.

ومن خلال هذا التعريف يتضح أن كلمة "ممالك" أصبحت ذات معنى اصطلاحى في التاريخ الإسلامى²، تُطلق على الرقيق الأبيض الذين استخدموا في المجتمع الإسلامى، وأشهر أنواعه الرقيق الصقالبة³ في الغرب الإسلامى، والرقيق الأتراك في المشرق الإسلامى، وهم أقدم عهداً بالدولة الإسلامية، إذ عرفتهم قبل أن تعرف الرقيق الصقلية⁴ منذ عهد الدولة الأموية (41-132هـ/661-750م).

فالأتراك إذن هم الرقيق الآسيوي الذين اعتمدت عليهم الدولة الإسلامية في المشرق بصورة كبيرة، واستخدموا في أول أمرهم كغلمان وخدم في القصور، ومعظمهم من أسرى الحروب من أقاليم ما وراء النهر⁵، وبلاد القبجاق (القفجاق) في حوض نهر الفولغا شمال البحر الأسود والقوقاز⁶، وإلهم يرجع نسب السلاطين المماليك في مصر⁷، ولعل تسميتهم بالترك- حسب ما ذكر ابن إياس الحنفى (ت 930هـ/1524م)- ترجع لكونهم تركوا خارج السد

1- محمد عبد الله سالم العمارة - المعجم العسكري المملوكي - ط1- دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع- عمان- 1431هـ/2011م- ص311.

2- محمد سهيل طقوش - تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام- ط1- دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع- القاهرة- 1417هـ/1997م- ص15.

3 - الصقالبة: مفرد صقلب مشتقة من لفظة فرنسية قديمة وهي Esclav، ومعناها عبد أو رقيق، أطلقها الجغرافيون العرب في العصور الوسطى على الشعوب السلافية، التي اعتاد بعض الجرمان على سبيهم وبيعهم إلى عرب إسبانيا، فسماهم العرب صقالبة، وهم سكان البلاد المختلفة من بلغاريا التي امتدت من بحر قزوين إلى البحر الأدرياتيكي، وكانوا ينقلون عبر طريق رئيسي يتدنى من شرق ألمانيا إلى إيطاليا وفرنسا ومنها إلى الأندلس وجزيرة صقلية والمغرب. العبادي أحمد مختار - في تاريخ الأيوبيين والمماليك- دط- دار النهضة العربية- بيروت- 1415هـ/1995م- صص9-22.

4 - العبادي- نفس المرجع- ص10

5 - ما وراء النهر: يذكر ياقوت الحموي أن المقصود بها ما وراء نهر جيحون بخراسان، فما كان في شرقيه يقال له بلاد الپياطلة وفي الإسلام سموه ما وراء النهر، والرقيق الذي من هذه البلاد هو المفضل، وهو خير رقيق بالمشرق كله، ومن مدن هذا الإقليم: الصغد وأشروسنة، وفرغانة والشاش. شهاب الدين ياقوت الحموي- معجم البلدان - ج5- ط2- دار صادر- بيروت- 1415هـ/1995م- صص45-46.

6 - عصام محمد شبارو - السلاطين في المشرق العربي: السلاجقة- الأيوبيون (447-648هـ 1055-1250م)- دار النهضة العربية- بيروت- 1414هـ/1994م- صص206-207.

7 - أحمد بن علي القلقشندي- صبيح الأعشى في صناعة الإنشاء- ج1- دار الكتب العلمية- بيروت- دت- ص420.

الذي بناه الإسكندر ذو القرنين¹ على يأجوج ومأجوج، وكانت منهم طائفة غائبة وقت بنائه وما علموا ببنائه؛ «فسميت هذه الطائفة "ترگا" لكونهم تركوا خارجا عن السد...، والله أعلم بحقيقة ذلك»².

ومعروف أن الخليفة العباسي المعتصم بالله³ هو أول من استخدم العنصر التركي في الجيش العربي الإسلامي، وبدأ نفوذهم يتزايد بشكل تدريجي بعد أن دبّ الضعف في أوصال الخلافة العباسية، خاصة منذ العصر العباسي الثاني (232-334هـ/847-946م) الذي يُطلق عليه عصر النفوذ التركي، فوصل الأمر بهم إلى التدخل في الشؤون السياسية للخلافة، إلى درجة أصبح الخليفة في أيديهم مثل الأسير إن شأؤوا أبقوه، وإن شأؤوا خلعوه، وإن شأؤوا قتلوه⁴.

أما بالنسبة لمصر فتعد مثالا بارزا في ازدياد نفوذ المماليك حتى أصبحوا هم سلاطين البلاد⁽⁵⁾، وتواجههم بها كان في عهد مبكر منذ زمن الخليفة المعتصم (180-227هـ/795-841م) الذي كان عامله عليها من أصل تركي يدعى "كيدر" أو "نصر بن عبد الله"⁶، وأرسل له كتابا يأمره بإسقاط العرب من ديوان الجيش المصري وقطع أعطيائهم، ومنذ ذلك الحين صار جند مصر وولاتها من الأتراك⁽⁷⁾، وكل الدول التي تعاقبت على حكم مصر دأبت على

1- الإسكندر ذو القرنين: المقصود به المذكور في القرآن الكريم في سورة الكهف، وهو غير الإسكندر ذو القرنين المقدوني فالأول عاش في زمن النبي إبراهيم الخليل عليه السلام وأسلم على يديه وطاف معه بالكعبة، كان عبدا مؤمنا صالحا وملكا عادلا وزيره الخضر، وهناك من قال أنه كان نبيا، أما ذو القرنين الثاني فهو المقدوني اليوناني، وكان مشركا وهو متأخر عن ذي القرنين الأول بأزيد من ألفي سنة. أبو الفدا إسماعيل ابن كثير الدمشقي- البداية والنهاية- تحقيق علي شيري- ط1- ج2- دار إحياء التراث العربي- بيروت- 1988- صص 123-125.

2- ابن إياس محمد بن أحمد الحنفي- بدائع الزهور في وقائع الدهور- نج: محمد مصطفى- ج1- ط1- دار إحياء الكتب العربية/ القاهرة - 1394هـ/1975- ص288.

3- المعتصم بالله أبو إسحاق محمّد بن الرشيد هو الخليفة العباسي الثامن، ولد سنة 180هـ/795م، بوع بالخلافة بعد المأمون في شهر رجب سنة 218هـ/832م، توفي في ربيع الأول سنة 227هـ/841م. جلال الدين عبد الرحمن السيوطي- تاريخ الخلفاء- نج حمدي الدمرداش- ط1- مكتبة نزار مصطفى الباز- 1425هـ/2004م- صص 243 - 245.

4- ابن طباطبا محمد بن علي المعروف بابن الطقطقي- الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية- تحقيق عبد القادر محمد مايو- ط1- دار القلم العربي- بيروت- 1417هـ/1997م- ص240.

5- سعيد عاشور - المرجع السابق- ص12.

6- نصر بن عبد الله: (ت 219هـ/834م) هو أبو مالك المعروف بكيدر أصله من الصغد، تولى مصر سنة 217هـ/832م في أواخر أيام الخليفة المأمون العباسي (ت 218هـ/833م)- وأقره في الولاية بعد وفاة الخليفة المعتصم، خير الدين الزركلي- الأعلام- ط15- ج8 - دار العلم للملايين، بيروت - 2002م- ص24.

7- العبادي- المرجع السابق- ص29.

اقتناء الممالك والاستعانة بهم خاصة في تدعيم الجيش¹، منذ عهد الدولة الطولونية(254-292هـ/867-904م) مرورًا بالدولة الإخشيدية (323-358هـ/934-968م)، والدولة الفاطمية (362-567هـ/973-1171م) وصولًا إلى عهد الدولة الأيوبية (567-648هـ/1171-1250)².

ومنذ منتصف القرن 7هـ/13م اجتمعت مجموعة من العوامل ساعدت الممالك الأتراك على الوصول إلى السلطة في مصر، منها ما هو مرتبط بالظروف الداخلية لمصر وبلاد الشام، خاصة ما تعلق بأحوال الدولة الأيوبية(567-648هـ/1171-1250م) التي كانت تعيش آخر أدوارها، ومنها ما هو متعلق بالظروف الخارجية المتمثلة أساسًا في الأخطار المحدقة بالمنطقة المتمثلة في الصليبيين والمغول على حدٍ سواء، إذ لم توجد قوة أخرى غير قوة الممالك للتصدي لهذين الخطرين³.

واستطاعت الدولة الجديدة التي أُصِبت تُعرَف بالممالك البحرية استثمار انتصاراتها العسكرية المحققة ضد الصليبيين والمغول، في معركة المنصورة⁴ وفارسكور⁵ وعين جالوت⁶.

1 - شريفة بنت ردة عطية المالكي - الأمراء المماليك في القاهرة في عصر دولة المماليك البحرية- رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي- جامعة أم القرى- مكة المكرمة. 1427هـ/2006م-صص28-30.

2 - يذكر ابن تغري بردي أن السلطان الصالح نجم الدين أيوب ابن الملك العادل(603هـ/647-1206م/1249م)، سابع ملوك الدولة الأيوبية هو الذي أنشأ الممالك الأتراك وأمرهم بديار مصر، ولما اشتد أذاهم بأرض مصر بنى لهم قلعة في ساحل النيل خلف القُسطاط، عرفوا بالبحرية. أبو المحاسن يوسف ابن تغري بردي- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة- ج6- دار الكتب وزارة الثقافة والإرشاد القومي- مصر- دت- ص319/أحمد بن علي تقي الدين المقريزي- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار- ط1- ج3- دار الكتب العلمية- بيروت- 1418هـ/1998م- صص321-322/عصام محمد شبارو - السلاطين في المشرق الإسلامي: معالم دورهم السياسي والحضاري- الممالك (648-923هـ/1250-1517م)- دار النهضة العربية للطباعة والنشر- بيروت- 1414هـ/1994- ص8.

3 - كريمة سونة- المعركة عند دولة المماليك البحرية(648-784هـ/1250-1381م)- مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في تاريخ وحضارة العصر الوسيط- جامعة الدكتور يحيى فارس المدية- الجزائر- 1438-1439هـ/2017-2018م- ص116.

4 - المنصورة: تقع على بحر أشموم تجاه طليخا، بناها الملك الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب سنة 620هـ/1223م، وسماها المنصورة بعد انتصاره على الفرنج الذين استولوا على ثغر دمياط، ووقعت فيها أحداث معركة المنصورة في 4 فبراير 648هـ/1250م خلال الحملة الصليبية السابعة بقيادة ملك فرنسا لويس التاسع(622-668هـ/1226-1270م)، تمكن فيها الممالك من هزيمة الصليبيين. ابن إياس الحنفي، المصدر السابق- ص24/عصام محمد شبارو - السلاطين في المشرق الإسلامي- صص192-193.

5 - فارسكور: إحدى القرى القريبة من مدينة دمياط الواقعة بين تنيس ومصر على زاوية بين بحر الروم والنيل، وفيها جرت موقعة فارسكور يوم 27 فبراير 648هـ/1250م، تمكن الجيش المصري فيها من هزيمة الصليبيين للمرة الثانية وأسر لويس التاسع، وبذلك انتهت الحملة الصليبية السابعة على مصر التي تزامنت مع انتهاء دولة بني أيوب في 27 محرم 648هـ/2 ماي 1250م، وحلّت محلها دولة الممالك (648-923هـ/1250-1517م). ياقوت الحموي- المصدر السابق- ج2- ص472/عصام محمد شبارو- السلاطين في المشرق الإسلامي: السلاجقة الأيوبيين- صص193-196.

6 - عين جالوت: من مدن الشام وفيها وقعت أشهر المعارك الفاصلة في تاريخ المسلمين كانت يوم (الجمعة 15 رمضان 658هـ/1260م)، تمكن فيها جيش المسلمين بقيادة المظفر سيف الدين قطز (ت 658هـ/1260م) من هزيمة المغول وإخراجهم من معظم المدن الشامية. ابن فضل الله

وتمكنت من تثبيت دعائم سلطنتها الناشئة في مصر وبلاد الشام على حساب الدولة الأيوبية، كما تمكنت من إضفاء طابع الشرعية على حكمها بحصول سلاطين المماليك على اعترافٍ وتقليدٍ من الخلافة العباسية في بغداد من جهة، وبإعادة إحياء تلك الخلافة في مصر من جهة أخرى¹، بعد أن قضى عليها المغول عند اجتياحهم بغداد سنة 656هـ/1258م، وانتهج السلاطين المماليك سياسة أستاذهم الصالح نجم الدين أيوب (638-647هـ/1240-1249م) في شراء المماليك والاستكثار منهم، فالسلطان الظاهر بيبرس البندقداري (658-676هـ/1260-1277م)² اقتنى أعدادًا كبيرة منهم³، وبلغ عددهم في عهد الملك المنصور قلاوون⁴ ستة آلاف وسبعمائة، وارتفع ذلك العدد في عهد ابنه الأشرف صلاح الدين خليل (689-693هـ/1290-1293م) إلى عشرة آلاف مملوك⁵، كما شغف أيضًا الملك الناصر محمد بن قلاوون⁶ (709-741هـ/1310-1340م) بجلب المماليك ودفع فيهم الأموال العظيمة⁷.

شهاب الدين العمري (ت 749هـ/1348م)- مسالك الأبحار في ممالك الأمصار- ج 3- ط 1- المجمع النفاقي- أبو ظبي- 1423هـ/2003م- ص 180/ أرتور إسرائيليان- فن الحرب في العصر المملوكي الأول بين النظرية والتطبيق (648. 784. 1250هـ/1382م)- أطروحة دكتوراه في تاريخ العرب والإسلام- إشراف: اكتمال إسماعيل- جامعة دمشق- كلية الآداب والعلوم الإنسانية- قسم التاريخ- 2007م- ص 231، 230.

1- تمكن السلطان المملوكي الظاهر ركن الدين بيبرس البندقداري من تحقيق فكرة إعادة إحياء الخلافة العباسية في مصر، التي راودت الكثير من الحكام قبله وذلك سنة 661هـ/1263م، للإطلاع أكثر يُنظر اليوتيبي قطب الديني- ذيل مرآة الزمان - ط 2- ج 2- دار الكتاب الإسلامي- القاهرة- 1412هـ/1992م- ص 186، 95/ ركن الدين بيبرس المنصوري الدوادار- زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة- تحقيق دونالد ريتشاردز- ط 1- الشركة المتحدة للتوزيع- بيروت- 1998م- ص 78/ جاسم محمد جاسم- جهود الأمراء المماليك في إحياء الخلافة العباسية- مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية- مج 14- العدد 6- جامعة تكريت/العراق- 1427هـ/2007م- ص 233.

2 - السلطان الظاهر بيبرس: هو ركن الدين بيبرس البندقداري وتلقب بالظاهري، وتعني كلمة بيبرس الفهد، بيع للملك الصالح بما قيمته عشرين جنهما، عرف بالصالح أو البندقداري، تولى سلطنة المماليك البحرية من 658 إلى 676هـ (1260-1277م)، ويعتبر عهده عهد التأسيس لهذه الدولة. محمود شلبي- حياة الملك الظاهر بيبرس- ط 1- دار الجيل- بيروت- 1412هـ/1992م- ص 32-34/ عبد المنعم ماجد- التاريخ السياسي لدولة سلاطين المماليك في مصر- مكتبة الأنجلو المصرية- القاهرة- 1998م- ص 80/ محمد سهيل طقوش- المرجع السابق- ص 575.

3- شريفة بنت ردة عطية المالكي- المرجع السابق- ص 31.

4- الملك المنصور سيف الدين قلاوون: هو سيف الدين أبو المعالي وأبو الفتح قلاوون عبد الله من قبيلة القبيجاك التركية، أصبح من الأمراء البارزين في مصر، اعتلى عرش السلطنة من 678هـ/1279م إلى 689هـ/1290م، وظل الحكم وراثيًا في أسرته. بيبرس المنصوري الدوادار- المصدر السابق- ص 175/ ابن تغري بردي- المصدر السابق- ج 7- ص 292/ طقوش محمد- المرجع السابق- ص 169، 170.

5 - المقرئ- المصدر السابق- ج 3- ص 374.

6- هو السلطان الملك ناصر الدين محمد بن المنصور قلاوون، تولى السلطنة بالديار المصرية ثلاث مرات غزل مرتين، ثم عاد للحكم مرة ثالثة وهي أطول فترات حكمه (709-741هـ/1310-1340م)، وتمثل عهد القوة والازدهار الذي عرفته دولة المماليك البحرية قبل تراجعها ثم سيطرة المماليك البرجية. النويري شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب- نهاية الأرب في فنون الأدب- ج 31- ط 1- دار الكتب والوثائق القومية- القاهرة- 1423هـ/2003م- ص 267/ ابن تغري بردي- المصدر السابق- ج 6- ص 199/ محمد سهيل طقوش- المرجع السابق- ص 212-213.

7 - المقرئ- المصدر السابق- ج 3- ص 374/ ابن تغري بردي المصدر السابق- ج 9- ص 166.

ويرجع سر القوة العسكرية التي اصطبغت بها دولة المماليك البحرية إلى عناية سلاطينها بالفروسية، التي تعد الركيزة الأساسية التي قام عليها النظام العسكري المملوكي فهي التي حفظت له حيويته وقوته في بسط نفوذ الدولة ومواجهة التحديات¹، فكان لزاماً على كل سلطان التحلي بها حتى يتمكن من التحكم في زمام الدولة وأمر جنده وعساكره². واستند النظام العسكري المملوكي في دولة المماليك البحرية على مبدأ التربية العسكرية للمملوك منذ صغره وتعليمه الفروسية التي اشتملت على العديد من الفنون التي ينبغي على المملوك إتقانها من بينها: ركوب الخيل، والضرب بالسيف، الطعن بالرمح، رمي النشاب والقوس، والمصارعة أو الصراع، والضرب بالدبوس، وسوق البرجاس³.

2- التربية والتنشئة العسكرية للمماليك: يعتبر الفاطميون أول من وضع نظاماً تربوياً دقيقاً للمماليك في مصر، بحيث كان الصغار من أسرى الحروب الذين يحملهم الأسطول الفاطمي يُربون على أيدي ما سمي في عهد الفاطميين بالأستاذين، ويتعلمون الكتابة والرماية، ويقال لهم الترابي، ومنهم من صار أميراً من الصبيان الذين اختصهم الخليفة بعنانيته⁴، وسار سلاطين الدولة الأيوبية (567-648هـ/1171-1250) في مصر والشام على نفس النظام الذي كان موجوداً، والذي يرجع في أصله إلى السلاجقة⁵، المتمثل في شراء

1 - العمارة- المرجع السابق- ص 227-228.

2 - بدر الدين العيني- السيف المهند في سيرة الملك المؤيد "شيخ الممودي" ط2- تج: فهم محمد علوي شلتوت- مراجعة: محمد مصطفى زيادة- دار الكتب المصرية- القاهرة- 1418هـ/1998م- ص229.

3- سوق البرجاس: وهو عبارة عن هدف مصنوع من الخشب أو المعدن يستخدم للتدريب على الطعن بالرمح، يتكون من سبعة قطع فوق بعضها يوازي ارتفاعها رأس الفرس يكون في أعلاها حلقة من المعدن يرمي بها الفارس الرماح رمحه، واستخدمه العباسيون قبل المماليك. ابن منكلي- المصدر السابق- ص79 هامش رقم 103/العمارة- المرجع السابق- ص61-62- ص228 / Carayon Agnès-La Furûsiyya des Mamlûks une Élite social à Cheval (1250-1517)- Thèse de Doctorat D'histoire (Monde Arabe, Musulman et Sémitique)- Université de Provence Aix-Marseille I-Juin 2012- p344.

4 - المقرئ- المصدر السابق- ج3- ص339/ القلقشندي- المصدر السابق- ج5- ص434/ محمد عصام شبارو - السلاطين في المشرق: المماليك- ص139/ شريفة بنت ردة عطية المالكي - المرجع السابق- ص29.

5- السلاجقة: يرجع أصلهم إلى القبائل التركية المعروفة بالأوكوز "الغز" في اللغة العربية، كانوا يسكنون في بلاد ماوراء النهر في مكان يبعد عن بخارى بعشرين فرسخاً (والفرسخ أربعة أميال)، وتسميهم بالسلاجقة نسبة إلى أحد أجدادهم يدعى سلجوق بن دقاق، اعتنق الإسلام على مذهب أبي حنيفة نتيجة احتكاكه بالسامانيين، وإلهم يرجع نسب طغرل بك (429-447هـ/1037-1055م) مؤسس السلطنة السلجوقية في العراق. حسن إبراهيم حسن- تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي- ج4-ط14- مكتبة النهضة المصرية- القاهرة- دار الجيل - بيروت- 1416هـ/1996م - ص7/ محمد عصام شبارو - السلاطين في المشرق: السلاجقة - الأيوبيون- ص17-25.

الممالك وتربيتهم وتدريبهم لتدعيم الجيش بالجنود من العنصر التركي لاعتقادهم بأنه لا يمكن للعرب أن يخلصوا في خدمتهم¹.

وعرف نظام تربية الممالك تطورا كبيرا في عهد دولتهم الناشئة سنة (648هـ/1250م)، وذلك راجع إلى الظروف التي قامت فيها هذه الدولة والدور الحربي الذي كان منوطا بها، إذ كان عليها مواجهة خطرين أجنبيين في وقت واحد (المغول والصليبيين)، فهذا النظام لم يكن جديدا بالمرّة وإنما هو مقتبس من نظم التربية والتدريب لدى الدولة الفاطمية و الأيوبية، وقامت تربية الممالك على أسس دينية، وذلك لما للدين من تأثير فعال على النفوس وشحذ الهمم لمواجهة الصليبيين والمغول على حد سواء².

كان السلطان يرسل الممالك الصغار- بعد شرائهم- للفحص الطبي للتأكد من سلامتهم الصحية، قبل أن يسمح باختلاطهم مع الممالك السابقين³، وهذا الإجراء هو أشبه بما هو متبع اليوم في النظم العسكرية الحديثة، ثم يرسلهم إلى الطباق (المدارس الحربية)⁴ أين يتلقون التربية والتعليم، وكان ترتيبهم في الطباق حسب الانتماء العرقي إذ أن السلطان كان يُنزل المملوك بعد شرائه في طبقات جنسه⁵، فمثلا توضع طائفة الأرمن والروم واللان والجركس مع بعضهم لتقارب موطنهم، وكذلك طائفة جنس الخطا والقفجاق معاً وهكذا⁶، وسُميت هذه الطائفة بالممالك الكتابية أو حسب قول المقرئ "برسم الكتابة"⁷ الذي يقصد به تعليم الممالك الكتابة⁸.

1 - محمد عصام شبارو - السلاطين في المشرق: الممالك-- ص139.

2 - أحمد مختار العبادي - قيام دولة الممالك الأولى في مصر والشام- دار المعرفة الجامعية- مصر- 1426هـ/2006م- ص95/الجزائر هاني فخري عطية- النظام العسكري في دولة الممالك (648 . 923هـ/1250 . 1517م)- رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي- كلية الآداب الجامعة الإسلامية في غزة- 1427هـ/2007م- ص27.

3 - أرتور إسرائيليان- المرجع السابق- ص55.

4 - الطباق: هي حجرات تعليم الممالك الصغار تقع في قلعة الجبل بالقاهرة، بُنيت في عهد الظاهر بيبرس، بلغ عدد ها اثني عشرة طبقة، في كل واحدة منها عدة مساكن تتسع لألف مملوك، وفيها كان يتم تعليم وتدريب الممالك حتى يتم تخريجهم وإحاقهم بالخدمة العسكرية. محمد عبد الله سالم العمارة- المرجع السابق- ص194/عبد المنعم ماجد- نظم دولة سلاطين الممالك ورسومهم- ج2- ط2- مكتبة الأنجلو المصرية- القاهرة- 1402هـ/1982م- ص143.

5 - المقرئ- المصدر السابق- ج3- ص372.

6 - إسرائيليان- المرجع السابق- ص55/محمود نديم أحمد فهم- الفن الحربي للجيش المصري في العصر المملوكي البحري- الهيئة المصرية العامة للكتاب- مصر- 1403هـ/1983م- صص30-31.

7 - المقرئ- المصدر السابق - ج3- ص372.

8 - السيد الباز العربي - الممالك- دار النهضة العربية للطباعة والنشر- مصر- د. ت- ص91.

وتميّز نظام تعليم وتربية المماليك في الطّباق بالدّقة والترتيب، يقوم بتطبيقه طائفة تعرف بالطواشية¹، فكان على المماليك الذّهاب إلى الحمام يومًا في الأسبوع، وهم ممنوعون من الخروج من الطّباق خاصّة في اللّيل، وكان غذاؤهم متنوّعًا من «اللحوم والأطعمة والحلاوات والفواكه فضلًا عن الكسوات الفاخرة والمعالي من الذهب والفضة»²، وهذا دليل على مدى اهتمام السلاطين بمماليكهم الذين كانوا ينظرون إليهم بنظرة الأبوة الصادقة المشبعة بالعطف والحنان³.

ونجد المقرئ يذكّر بأن الملك الناصر قلاوون (709-741هـ/1310-1340م) عندما كان يخرج في غالب أوقاته ليتفقد طعام المماليك ويعرف مدى جودته وردائه، فإذا وجد فيه عيبًا اشتد على القائمين عليه، وكان يقول: «كلّ الملوك عملوا شيئًا يذكرون به ما بين مال وعقار، وأنا عمّرت أسوارًا وعملت حصونًا مانعة لي ولأولادي وللمسلمين، وهم المماليك»⁴، وكانت تربطهم (أي المماليك) علاقة تسمى الأستاذية، إذ أن السلطان أو السيّد الذي اشترى المماليك وهم صغار هو الذي ربّاهم، فهم دومًا رهن إشارته وينقذون أوامره⁵، وأصبح هؤلاء ينتسبون لأساتذتهم و يحملون أسمائهم فمن هؤلاء المماليك: المعزية الذين ينتسبون للمعز أيبك⁶، وكذلك الظاهرية المنتسبون للظاهر بيبرس الذين أصبحوا يشكلون معظم عسكر البلاد في عهد ابنه⁷ السلطان السعيد¹.

1- الطواشية (مفردتها طواشي) هم المسؤولون عن تربية المماليك، وأحيانًا يُسمّون "الأغا"، كانوا يحظون بمكانة عالية بين أواسط المماليك، فإذا ظهر من أحدهم ما يسيء الأخلاق استدعى السلطان "الأغا" أو "الطواشي" وأمره بمعاينة المملوك المسيء. الجزار- المرجع السابق- هامش رقم 3- ص27/ فهم- الفن الحربي- المرجع السابق- ص31-34.

2- المقرئ- المصدر السابق- ج3- ص373.

3- عاشور سعيد عبد الفتاح- المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك- دار النهضة العربية- القاهرة- 1992- ص21 / فهم- المرجع السابق- ص32.

4- المقرئ- المصدر السابق- ج3- ص372.

5- فايد حماد عاشور- العلاقات السياسية بين المماليك والمغول في الدولة المملوكية الأولى- دار المعارف- مصر- 1391هـ/1972م- ص13، وللاستزادة أكثر حول علاقة الأستاذية يُنظر: العمارة- المعجم العسكري المملوكي- ص23.

6- عز الدين أيبك التركماني: لقبه الجاشنكير (وهو الذي يتذوق الطعام قبل أن يأكل منه السلطان خشية تسميمه)، يعتبر عند بعض المؤرخين أول ملوك الدولة التركية (المماليك البحرية)، تولى أتايكية العسكر عندما تسلطت شجر الدر، ثم تولى السلطنة وتزوجها، تلقب بالمعز، قُتل نتيجة مؤامرة دبرتها شجر الدر يوم الثلاثاء 24 ربيع الأول 655هـ/أفريل 1257م. ابن تغري بردي - المصدر السابق- ج7- ص3-4/النويري شهاب الدين- المصدر السابق- ج29- ص292/بيبرس المنصوري الدوادار - مختار الأخبار- تحقيق عبد الحميد صالح حمدان- ط1- الدار المصرية اللبنانية- القاهرة 1413هـ/1993م- ص9.

7- العربي- المماليك- المرجع السابق- ص160.

أما عن العلاقة التي ربطت أمراء المماليك الذين تربّوا ونشؤوا في كنف سيّد واحدٍ مع بعضهم البعض، فهي علاقة الزمالة وتسمى بالخُشداشية أي أنّهم جميعاً زملاء وأصدقاء، فكانوا يؤمنون بمساواتهم في كل شيء: في النشأة والأصل والحق والواجب².

كما تميز نظام التربية المملوكية بالصرامة، خاصة في زمن الدولة المملوكية الأولى (البحرية)، وذلك ما أشار إليه المقريزي إذ أنّ المملوك تحت التدريب يُؤاخذُ أشدّ المؤاخذه ويُناقش ويُحاسَب على كل تصرفاته: «حركاته وسكناته فإن عثر من مؤدبه الذي يعلمه القرآن، أو الطواشي الذي هو مسلم إليه، أو رأس النوبة³ الذي هو حاكم عليه، على أنه اقترف ذنباً، أو أخلَّ برسمٍ، أو ترك أدباً من آداب الدين أو الدنيا، قابله على ذلك بعقوبة مؤلمة شديدة بقدر جرمه»⁴، فهذه الصرامة والجديّة كانت هي سرُّ قوة دولة المماليك في عهدها الأولى «فلذلك كانوا سادة يدبرون الممالك، وقادة يجاهدون في سبيل الله»⁵.

إلا أن هذا النظام في التربية لم يدُم، إذ أخذ سلاطين المماليك مع مرور الزمن في التّساهل مع المماليك وطرق تربيتهم، ممّا أدّى إلى نسيان ذلك التّهج الصّارم في تنشئة المماليك بشكل تدريجيّ، وأهمّل خاصة في زمن دولة المماليك الثانية (الجراسية أو البرجية) (784-923هـ/1382-1517م)، وسُمح للمماليك بالخروج من الطّباق، فسكنوا بالقاهرة التي تزوّجوا من نساءها، وأخلدوا إلى البطالة والرّاحة والدّعة، ونسوا تلك العوائد على قول المقريزي: «وصارت المماليك السلطانية أرذل الناس وأدناهم وأخسهم قدرًا، وأشحهم نفسًا، وأجهلهم بأمر الدنيا، وأكثرهم إعراضًا عن الدين، ما فيهم إلا من هو أزنّ من قرد، وألص من فأرة، وأفسد من ذئب»⁶.

1 السلطان السعيد: ناصر الدين محمد بركة خان (676-678هـ/1277-1279م). طقوش محمد سهيل- المرجع السابق- ص 575.

2 - الصاوي محمد الصاوي- قطز قاهر التتار- ط1- مكتبة النافذة- مصر- 1432هـ/ 2012م- صص 50-51/فايد عاشور- المرجع السابق- ص 13.

3- رأس النوبة: يذكر القلقشندي أنها لقب يطلق على الذي يتحدّث ويشرف على ممالك السلطان أو الأمير، وتنفيذ أمره فهم، ويجمع على رؤوس نوب. والمراد بالرأس هنا الأعلى أخذًا من رأس الإنسان: لأنه أعلاه، والنوبة واحدة النوب، وهي المرّة بعد الأخرى، والعامة تقول لأعلام في خدمة السلطان: «رأس نوبة النوب» وهو خطأ: لأن المقصود علو صاحب النوبة لا النوبة نفسها، والصواب فيه أن يقال: «رأس رؤوس النوب» أي أعلامهم. القلقشندي- المصدر السابق- ج 5- ص 427-728.

4 - المقريزي- المصدر السابق- ج 3- ص 373.

5 - المصدر نفسه- ص 373.

6 - نفسه - ص 373.

تمرُّ تربية وتدريب المماليك بثلاث مراحل: تبدأ منذ وصولهم إلى الطَّباق وهم صبيان صغار اليَسن، مروراً بفترة شبابه حين يصبحون قادرين على المشاركة في الحياة العامة، وتحمل مسؤولياتهم في المجتمع الجديد، وصولاً إلى مرحلة العتق حين تبرز مواهب المملوك، فينخرط في صفوف المحاربين الأقوياء، وأوّل ما يتعلّمه المملوك وهو صبيّ القرآن الكريم، إذ كان لكل طائفة فقيه يحضر إليها كلّ يوم يعلّمها شيئاً من القرآن والخط، مع التّمرّن بأداب الشّريعة وملازمة الصّلوات والأذكار¹، كما خُصّصت لهم رواتب تسمى جاميكية²، وإذا شبّ المملوك علّمه الفقيه شيئاً من الفقه وأقرأه فيه مقدمة³.

3- التّدريبات القتالية المملوكيّة: في سنّ البلوغ يبدأ المملوك تعلّم الفنون الحربيّة بشكلٍ نظريّ مع استخدام الأسلحة المختلفة في مقدمتها الفروسيّة⁴، التي تكون بدورها على مراحل: المرحلة الأولى: ركوب الخيل. المرحلة الثانية: ركوب مع سرج وبدونه. المرحلة الثالثة: رمي القوس. المرحلة الرابعة: الطّعن بالرّمح. المرحلة الخامسة: التّدريب على صنوف الأسلحة. المرحلة السادسة: التّدريبات الرياضيّة القتاليّة⁵.

فأوّل ما يبدأ المماليك تعلّمه ركوب الخيل، ويكون بالتدرب على ركوب تمثال مصنوع من الطّين أو الخشب أو الحجر، فيعلّمهم المدرب كيفية الركوب والجلسة الصّحيحة، ويطلب من كلّ واحدٍ منهم الوثوب على التّمثال حتى يتمّ إتقان ذلك تمامًا، ثم يضع سرجاً على ظهر التّمثال ويمرّتهم على الوثوب بخفّة ورشاقة وهم يحملون السّلاح ومعدّات القتال الأخرى⁶.

وعندما يتأكّد المعلّم من إتقان مجموعة المماليك التي تحت التّدريب لذلك؛ تأتي المرحلة الثّانية التي يعلّمهم فيها الضّرب بالقوس في حالتي الكرّ والفرّ، باختيار خيول هادئة

1 - نفسه - ص372.

2 - الجاميكية: وجمعها جاميكيات وجوامك، وجمالي، لفظ فارسي مشتق من جامعة وتعني: اللباس، أي نفقات أو تعويض اللباس الحكومي والمقصود بها الأجر أو الراتب أو المنحة. محمد أحمد دهمان- معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي- ط1- دار الفكر- دمشق1410هـ/

1990م- ص51.

3 - المقرئ- المصدر السابق- ج3- ص 372 / العربي- المماليك - المرجع السابق- ص89.

4 - إسرائيليّان- المرجع السابق- ص59.

5 - نفس المرجع- ص ص64-74.

6 - الجزائر- المرجع السابق- ص28 / فهم- المرجع السابق- ص ص35-36.

المهاري⁴، وميدان سرياقوس⁵، والميدان الناصري⁶، وميدان بركة الحبش⁷ وميدان القلعة⁸؛ وبعد إنهاء التدريب يمنح السلطان من يتفوق منهم الخلع والهدايا من الإنعامات المتنوعة⁹.
4- ألعاب الرياضة العسكرية: حرص السلاطين المماليك على الحفاظ على لياقة عناصر جيشهم، وجعله دومًا في أهبة الاستعداد لمواجهة أي طارئ، لذلك لم يهملوا ممارسة ألعاب الرياضة خاصة القتالية منها، في فترات السلم وأوقات فراغهم، والواقع أنها أصبحت فنًا في عهدهم، ولشدّة اهتمامهم وتقديرهم لها أصبحت تخرج لها مواكب رسمية، كما اتخذوا منها وسيلة للتدريب القتالي¹⁰، وإعدادًا للقوة التي حثّ عليها الله تعالى في قوله: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا

- 1- الميدان الظاهري: أقامه الملك الظاهر بيبرس على النيل الأعظم، واتخذته مكانًا للعب الكرة، وبقي يلعب فيه الكرة إلى أن قام السلطان الناصر محمد بن قلاوون بهدمه سنة 714هـ/1314م، وعمله يستأنف لبعد البحر عنه. المقرئزي- المصدر السابق- ج3- ص347.
- 2- ميدان القبق: يقع شرقي القاهرة، يُعرف باسم الميدان الأسود، وميدان العيد، والميدان الأخضر، وميدان السباق؛ بناه السلطان الظاهر بيبرس، وأقام به مصطبة في شهر محرم 666هـ/1267م للاحتفال برمي النشاب ولعب الرمح وغيرها من أمور الحرب. المقرئزي- السلوك لمعرفة دول الملوك- ج3- ط1- نج محمد عبد القادر عطا- دار الكتب العلمية - بيروت- 1418هـ/1997م- ص306/المواعظ والإعتبار- ج3- ص200.
- 3- ميدان بركة الفيل: كان مشرفًا على بركة الفيل، بناه السلطان زين الدين كتبغا سنة 695هـ/1296م، وظل قائمًا إلى سنة 717هـ/1317م. المقرئزي- المواعظ والإعتبار- ج3- ص348.
- 4- ميدان المهاري: يقع هذا الميدان بالقرب من قناطر السباع، أنشأه الناصر محمد بن قلاوون سنة 720هـ/1320م، وظل قائمًا إلى أيام الناصر فرج بن برقوق (801-815هـ/1399-1412م)، إلا أنه تلاشى ولم يعد موجودًا. القلقشندي- المصدر السابق- ج5- ص433/العمارة- المرجع السابق- ص167/فهم محمود- المرجع السابق- صص96-97/ابن شاهين الظاهري- زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك- تصحيح بولس راويس- المطبعة الجمهورية- باريس- 1309-1310هـ/1892-1893- صص116-117/المقرئزي- المواعظ والإعتبار- ج3- ص348.
- 5- ميدان سرياقوس: بناه الناصر محمد بن قلاوون سنة 723هـ/1323م، يقع في القاهرة، ولما كمل سنة 725هـ/1325م خرج إليه، أقام فيه أيامًا يلعب الكرة، واستمر على ذلك كل سنة إلى وفاته. المقرئزي- المواعظ والإعتبار- ج3- صص348-349/العمارة- المرجع السابق- ص319.
- 6- الميدان الناصري: الميدان الكبير والميدان الناصري، بناه الناصر محمد بن قلاوون سنة 714هـ/1314م، يقع فيما بين مدينة مصر والقاهرة. المقرئزي- المواعظ والإعتبار- ج3- صص350/نفس المصدر- ج14- صص351-457.
- 7- ميدان بركة الحبش: يقع بالقرب من بركة الحبش في ظاهر القسطنطينية من قبلها، بناه الناصر محمد بن قلاوون، بعد أن ترك النزول إلى ميدان القبق، وهو من ميادين التدريب على الفروسية. المقرئزي- المواعظ والإعتبار- ج3- صص269-270/العمارة- المرجع السابق- ص318.
- 8- ميدان القلعة: من بقايا ميدان أحمد بن طولون (254-270هـ/867-883م)، يقع تحت قلعة جبل المقطم، بني في العصر الأيوبي، ثم تهدم سنة 650هـ/1252م، وأعاد بناءه الناصر محمد بن قلاوون سنة 712هـ/1312م، وأخذ يلعب فيه الكرة يومي السبت والثلاثاء من كل أسبوع. المقرئزي- المواعظ والإعتبار- ج3- صص352، 351، 352/ابن عبد الظاهر معي الدين أبو الفضل- الروضة البهية الزاهرة في خطط القاهرة المعزية - نج أيمن فؤاد سيّد ط1- الدار العربية للكتاب- القاهرة- 1416هـ/1996م- ص132/العمارة- المرجع السابق- ص320/ميرفت عبد الهادي عبد اللطيف وأحمد راوي محمد عبد الجابر- لعبة الكرة والصّولجان في مصر الإسلامية من العصر الفاطمي وحتى نهاية العصر المملوكي (923هـ/969-1517م)- المجلة الدولية للتراث والسياحة والضيافة- مج 14- العدد2- ديسمبر 2020م- كلية السياحة-جامعة الفيوم- صص376-380/القلقشندي- المصدر السابق- ج4- ص397/97- Op.Cit. Carayon Agnès.
- 9- عبد المنعم ماجد - نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم - ج2 - ص143.
- 10 نفس المرجع- ص137/نصار لطفى أحمد- وسائل الترفيه في عصر سلاطين المماليك في مصر- الهيئة المصرية العامة للكتاب- مصر- 1419هـ/1999م- ص230.

اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُزْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ¹.

وأخذت هذه الألعاب الرياضية أشكالاً متعددة من أبرزها: سباق الخيل، لعبة الصَّولجان (POLO)، لعبة القَبْق، لعبة اللَّبْخَة، السَّباحة والصَّيد والرَّمي بالبُنْدُق، وهذه الألعاب تعتبر شرطاً لتعلُّم الفروسية، يذكر محمد بن عيسى بن إسماعيل الأقصري (ت حوالي 750هـ/1349م) أنه لكي يكون الرجل فارساً جرياً على ركوب الخيل؛ عليه أن يكون فيمن يذلُّ الصَّعاب، وأن يتعلَّم الرِّياضة مثل اللَّعب بالكرة والصَّوالجة، والصَّيد وطرده⁽²⁾.

4. 1- سباق الخيل: سباق الخيل أصل الفروسية وقاعدتها³ وأحبَّه المسلمون منذ عهد الرُّسول (ﷺ) بسبب ربطه بين الجهاد والخيل وعُرف برباط الخيل⁴، فالرسول (ﷺ) اتخذ الخيل وارتبطها وأحبَّها، وحثَّ المسلمين على ارتباطها، وأعلمهم ما في ذلك من الأجر والثَّواب⁵؛ ويذكر عبد الرحمن الثعالبي (ت875هـ/1471م) في تفسيره للآية ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ﴾ أن: «رباط الخيل: مصدرٌ من رَبطَ، ولا يكثرُ رَبطُها إلَّا وهي كثيرة، ويجوز أن يكون مصدرًا من رَابطَ، وإذا رَبطَ كلُّ واحد من المؤمنين فرساً لأجل صاحبه، فقد حصَلَ بينهم رباطٌ، وذلك الذي حضَّ عليه في الآية⁶».

وظل الجهاد والمراقبة في سبيل الله من أقوى الدوافع إلى اتخاذ الخيل وتعلم الفروسية، كما أنها كانت وظلت حتى زمن المماليك وبعده وسيلتهم الأساسية في جهاد الأعداء والدفاع عن أراضي المسلمين، وذلك ما وُجد في الكتب التي صُنِّفت في تعليم هذا

1- سورة الأنفال- الآية 60.

2- الأقصري محمد بن عيسى بن إسماعيل - نهاية السؤل والأمنية في تعلم أعمال الفروسية- الناسخ أحمد بن عمر بن أحمد الميسري- قسم المخطوطات الشرقية بالمكتبة البريطانية- رقم Add MS 18866 - نسخة إلكترونية من الأرشيف الرقمي لمكتبة قطر الوطنية- ورقة رقم 325.

3 - محمد بن أبي بكر ابن القيم الجوزية- الفروسية- تح مشهور بن حسن بن محمود بن سلمان- ط1- دار الأندلس- السعودية- 1414هـ/1993م - ص128.

4 - عبد المنعم ماجد - نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم - ج2- ص 141.

5 - ابن هذيل علي بن عبد الرحمن الأندلسي- حلية الفرسان وشعار الشجعان- تح محمّد عبد الغني حسن- دار المعارف للطباعة والنشر- 1370هـ/1951م- ص44.

6 - أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي- الجواهر الحسان في تفسير القرآن- ط1- ج 3- تح: محمد علي معوض و عادل أحمد عبد الموجود- دار إحياء التراث العربي- بيروت- 1418هـ/1998م- ص ص149-150.

الفن¹. وعُرف عن سلاطين المماليك شغفهم بالخيال حيث عملوا على شراء الخيول العربية الأصيلة، والعناية بها كما شغفوا بسباق الخيل لما له من فوائد وغايات منها: أنه يُعلم الكرّ والفِرّ والظفر بالخصم، ويُعلم الفارس والفَرَس معًا، فهُوَ يُؤثر القُوّة في المركوب وراكبه²، فكانت هذه الرياضة تُقام كلّ سنة³.

وكان لهم إسطبلات سلطانية متعدّدة تحدّث عنها ابن شاهين الظاهري (ت 837هـ/1468م) تضم أنواع الدواب التي يملكها السلاطين المماليك⁴، ولهذه الإسطبلات إدارة خاصة تعرف بـ"الركاب خانه" ويعني: بيت الركاب الذي توضع فيه كل المعدات المتعلقة بالخيول، ويشرف عليها موظف يسمى "مهتار" يساعده مجموعة من الرجال⁵.

4. 2- لعبة الصّولجان: هذه اللعبة فارسيّة الأصل تعرف بالجوكان، والمُخجّن الذي تُضرب به الكرة ويعبّر عنه بالصّولجان وجمعها صوالجة⁶، وهي عبارة عن عصا معقوفة الطرف تُضرب بها الكرة⁷، ووردت باسم "الأكرة" في بعض المصادر المملوكية، وذلك لحن من العامة لكلمة "كرة"⁸، وهي التي تعرف في الوقت الحاضر بالبولو⁹، وتعتبر لعبة الصّولجان نوعًا من أنواع فنون الفروسية¹⁰، إذ هي من أعظم أصولها منفعة لكل من أراد تعلم فنًا من

1- مثل قول محمد بن عيسى بن إسماعيل الأقبصاني: «إخواني الإنجاد الإنجاد قبل الفوت، الجهاد الجهاد قبل الموت... أين من يرى ويتعلم الفروسية، ويدع عنه زراع الوسية [وهي الأرض المشاع بين السكان في القرية]، أين من يترك هذه الدار ويطلب تلك الدار، أين من تحرّكه نخوة الإيمان، إلى التعلم بالسيف والسنان، أين من يرمي عن قسي الهمة سهام الانتقام، ويؤجج نيران الطعان، ما أحسن صهيل الخيل عند إقدام القيل [يعني الملك]»، محمد بن عيسى الأقبصاني- المصدر السابق- ورقة رقم 30/ رنهارت بيتر أن دوزي- تكملة المعاجم العربية- ج11- ط1- تر: محمّد سليم النعيمي- وزارة الثقافة والإعلام- العراق- 1399هـ/1979- ص68/ جمال الدين الكجراتي- مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار- ط3- ج5- مجلس دائرة المعارف العثمانية- 1387هـ/1967م- ص595.

2- ابن القيم الجوزية- المصدر السابق- ص128-129.

3- المقرئزي- السلوك لمعرفة الدول الملوك- ج3- ص306/ السخاوي شمس الدين- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع- ج6- دار مكتبة الحياة- بيروت- دت- ص205.

4- ابن شاهين- المصدر السابق- ص125.

5- الفلقشندي- المصدر السابق- ج4- ص11-12.

6- العربي- المرجع السابق- ص104.

7- الفلقشندي- المصدر السابق- ج5- ص430/ رنهارت دُوزي - تكملة المعاجم العربية- المرجع السابق- ج2- ص351.

8- الفلقشندي- المصدر السابق- ج1- ص198.

9- العميرة- المرجع السابق- ص96/ نصّار لطفي أحمد- المرجع السابق- ص254.

10- ابن تغري بردي جمال الدين يوسف- مورد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة - ج2- تج: نبيل محمد عبد العزيز أحمد- دار الكتب المصرية- القاهرة- دت- ص175.

11- الأقبصاني - المصدر السابق- ورقة رقم 325.

خاصة الضرب بالسيف، وإتقان الرمي بالرمح، لما يقع فيها من الكرّ والمناوشة وتأديب الدّواب، وفي ممارستها تدريب للفارس على الحرب والقتال، وتساعد في إصلاح ثبات الفارس على سرجه، وإصلاح رجليه في الركاب¹، وطريقة لعبها تكون فوق الخيل، ولكل فارس عصا طويلة وفي وسط الميدان الكرة، ويحاول كل فارس اجتذاب الكرة إلى جانبه، باستعمال حركات خاصة أشار إليها الأقصريّ في مخطوطته نهاية السؤل والأمنية في تعلم أعمال الفروسية²، وتكون الغلبة لمن ينجح في ذلك³.

ويطلق على الشّخص الذي يحمل الجوكان مع السلطان لقب "الجوكندار"، وتعني: ممسك الجوكان⁴، ومن فوائد هذه الرياضة أيضًا أنها تمرّن عضلات الجسم على سرعة الاستجابة الحركية، واكتساب المهارة في الضرب سواء من اليمين أو اليسار أو الأمام أو الخلف، كما تفيد في التدرّب على ركوب أصناف الخيل⁵.

ويذكر الأقصريّ نوعًا آخر من لعب الكرة يُسمّيها "الطبّاطب"، هي أشبه في لعبها بكرة الصّولجان فقال: «والذي بدا لي أن الطبّاطب هو الطابة التي يلعب بها الصبيان»⁶ ذكرها الزّبيدي (ت1205هـ/1791م) في تاج العروس مؤنثة وأشار بأن "الطبّاطبة" الخشبة العريضة التي يلعب الفارس بها الكرة⁷، أما دوزي فقال: «طابة: وجمعها طوب، كرة اللعب» واعتبرها ضرب من لعبة التنس⁸، وعلى الرغم من ذكر الأقصريّ لكيفية لعب الطبّاطب، وفائدة هذه اللعبة بالنسبة للفارس المتمثلة في سهولة استخدامه ما يحمل معه من آلة الحرب، والحذر فيها⁹، إلّا أن المصادر المملوكية لم تتحدث عنها، ولم تذكر أن أحدًا من السلاطين المماليك لعبها، وذلك بخلاف لعبة الكرة بالصّولجان.

1 - الركاب: هو ما تجعل فيه رجل الفارس عند الركوب وكانت العرب تعناده من الجلد والخشب، ثم عدل عن ذلك إلى الحديد. القلقشندي- المصدر السابق- ج2- ص144/ ميرفت عبد الهادي عبد اللطيف وأحمد راوي محمّد عبد الجابر- المرجع السابق- ص371/ إسرائيليان- المرجع السابق- ص72.

2 - للإطلاع على كيفية اللعب بالكرة وما يجب القيام به من حركات. أنظر الأقصريّ- المصدر السابق- ورقة رقم 326.

3 - إسرائيليان- المرجع السابق- ص72.

4 - القلقشندي- المصدر السابق- ج5- ص430.

5 - العربي- المرجع السابق- ص104.

6 - الأقصريّ- المصدر السابق- ورقة رقم 325.

7 - الزّبيدي محمد بن عبد الرزاق الحسيني الملقب بمرتضى- تاج العروس من جواهر القاموس- ج3- دار الهداية- دت- ص264.

8 - دوزي رينهارت- المرجع السابق- ج7- ص86.

9 - الأقصريّ- المصدر السابق- ورقة رقم 327.

ويُفهم من كلام الأقصري أن اللعب بالطَّبْطَاب يسبق اللعب بالكرة من حيث الممارسة، وذلك عند إجابته على سؤال طرحه يتعلق بما الذي يعلم الفارس الثقافة في الحرب؟ أجاب: «اللعب بالطببابط لحاجته إلى لعب الكرة والحفظ لها ولنفسه ودابته وموضع جولانه من الأرض وحذره ممن يطلبه ويطلب ما معه»¹، وذلك ما يجعلنا نعتقد أن الفارس المملوك ربما كان يتعلّم لعب الطببابط في صباه تمهيداً للعب الكرة وضرب الصّوالجة عندما يشتد عوده، خاصة وأنه أشار في كيفية تعلم لعب الطببابط أن يبدأ تعلمه راجلاً حتى تتمرّن يده، ويحذق وجوهه ثم من بعد ذلك على الفرس حتى يتقنه على مهل، ثم يصير إلى الجماعة²، وربما هذا ما يفسر سبب إغفال المصادر ذكر لعب الطببابط كونه يُلعب في مرحلة الصّبا.

وأول من لعب الكرة وضرب الصّوالجة من حكام المسلمين الخليفة هارون الرشيد، وشغف بلعبها غير واحد من حكام المسلمين.

وفي عهد دولة المماليك البحرية كان السلطان المعز أيبك أول من لعب الكرة من سلاطين المماليك سنة 655هـ/1257م³، وأصبحت من أشهر الألعاب المملوكية وجعلوا لعبها من رسوم الدولة، فالسلطان الناصر محمد بن قلاوون فرض لعبها على أمراء المماليك يومي السبت والثلاثاء من كل أسبوع⁴.

4.3- الصّيد: يعتبر الصّيد ومطاردة الحيوانات البرية من الأشياء التي تُعلّم الفارس لقاء العدو والإقحام عليه في كلّ موطن⁵، ولم يُغفل المماليك ذلك، إذ هو في نظر الجيش المملوكي رياضة تعلم الرّمي ضد أهداف تتحرك بسرعة، وعلى الرّامي أن يصيب الهدف ولا ينتظر الطّريدة حتى تتوقف، بل يسدّد من على ظهر الفرس العادية على الغزال مثلاً الذي يركض بسرعة تفوق سرعة الفرس، وفي ذلك تدريب كبير رغم مشقة الاقتناص⁶، وكان خروج السلاطين المماليك إلى السرحات والصّيد في أيام الربيع، ومنهم من كان يخرج ويقيم في البرية عدّة أيّام لأجل ذلك⁷، ويعتبر الملك الناصر محمد بن قلاوون من أبرز السلاطين شغفاً بالصّيد والسباق⁸، ويذكر المقرئزي وابن تغري

1- الأقصري- المصدر السابق- ورقة رقم 326.

2- المصدر نفسه- ورقة رقم 326.

3- ميرفت عبد الهادي عبد اللطيف- المرجع السابق- ص381.

4- المقرئزي- المواعظ الإعتبار بذكر الخطط والآثار- المصدر السابق- ج 3- ص398.

5- الأقصري- المصدر السابق- ورقة رقم 327.

6- إسرائيليان- المرجع السابق- ص71.

7- ابن تغري بردي- النجوم الزاهرة- المصدر السابق- ج 8- ص61/ ابن شاهين الظاهري- المصدر السابق- ص127.

8- ابن تغري بردي- النجوم الزاهرة- ج 9- ص 167-170.

بردي أنه لم يترك أرضاً تُعرف بالصَّيد إلا وجعل بها صيادين يقيمون في البرية وقت الصَّيد لجلب الأنواع المختلفة من الطيور الجوارح حتى كثرت في أيامه السَّنَاقِر¹ فترك بعد موته مائة وعشرين سُنَقَرًا².

وكان للصَّيد ديوان يشرف على أموره يسمى "شكار خاناه"³، وله قائم عليه يسمى "أمير شكار": وهي كلمة فارسية تعني أمير الصيد⁴، بالإضافة إلى القائمين على مختلف أنواع الحيوانات مثل الكلابي: وجمعها كلابزة وهو المشرف على خدمة كلاب الصيد عند السلطان أو أمير من الأمراء⁵، والبازدارية: مفردا باز دار، وهو المسئول عن حمل الطيور والجوارح المعدة للصَّيد على يده أثناء خروج السلطان إلى الصيد، وهي مشتقة من الباز (الصقر)⁶.

4.4- الرَّمي بالبُنْدُق: البندق هو عبارة عن قطع تشبه ثمرة البندق مصنوعة من الطين، أو الزجاج أو المعدن، يرمى بها بقوس يسمى قوس الجلاحق⁷، واستعمل المماليك الرمي بالبندق لصيد الطيور، واستعملوه أيضاً كوسيلة للتدريب العسكري للجنود قبل انضمامهم لما يعرف بالتجريدة⁸، حيث كانوا لا ينضمون إليها إلا بعد اجتيازهم اختبارا في الرمي أمام السلطان⁹.

5.4- لعبة القبق: القبق لفظة تركية، وهناك اختلاف بين المصادر في وصف هذه اللعبة، فحسب ما ذكر ابن دقماق (ت809هـ/1406م) فإن القبق هو القرعة العسلية التي يُصنع على شكلها

1- السناقر: مفردا سُنقر نوع من الطيور الجارحة. وصفه جلال الدين ابن منكلي القاهري المعاصر للمماليك بشكل مفصل وتراوح سعره في ذلك الوقت بين الألف دينار إلى خمس مئة. ابن منكلي جلال الدين محمد بن محمود بوغا القاهري- أنس الملا بوحش الفلا- دت- ص31.

2- المقريري تقي الدين- السلوك لمعرفة دول الملوك- ج3- ص307/ابن تغري بردي- النجوم الزاهرة- المصدر السابق- ج9- ص170.

3- ابن شاهين الظاهري- المصدر السابق- ص127.

4- القلقشندي- المصدر السابق- ج5- ص433.

5- تاج الدين السبكي- معيد النعم ومبيد النقم- ط1- مؤسسة الكتب الثقافية- بيروت- 1407هـ/1986م- ص111/العمامرة- المرجع السابق- ص257.

6- المرجع نفسه - ص56.

7- الجلاحق: مفردا جلبق مصطلح فارسي معرب وهي قسي البندق التي تستعمل في الصيد ونحوه، وهذه القوس تلف بالحبر، وفي وسط وتره قطعة دائرية تسمى الجوزة توضع فيها البندق عند الرمي. النويري- المصدر السابق- ج6- ص223/ابن فضل الله العمري- التعريف بالمصطلح الشريف- تج: محمد حسين شمس الدين- ط1- دار الكتب العلمية- بيروت- 1408هـ/1988م- ص267/القلقشندي- المصدر السابق- ج2- ص154/العمامرة- المرجع السابق- ص90.

8- التجريدة: جمعها تجاريد مصطلح يطلق على فرقة من الجيش (مجموعة من الفرسان) لا رجاله فيها، تقوم بمهمة وتكون بدون أنقال أو تزيين، وترد أيضا بمعنى الحملة العسكرية التي يتم إرسالها إما على شكل غزوات خارجية، أو حملات تأديبية لإخضاع الخارجين عن السلطة، وأحيانا يكون فيها السلطان بنفسه أو يعين من يختاره من جيشه، ابن شاهين- المصدر السابق- ص136/ابن تغري بردي النجوم الزاهرة- ج13- ص265/العمامرة- المرجع السابق- ص73.

9- محمد دهمان - المرجع السابق- ص38/العمامرة- المرجع السابق- ص67/لطفي أحمد نصّار - المرجع السابق- ص229.

الهدف، الذي يُستعمل في لعبة الرماية، وهي من ذهب أو فضة¹، ويبدو أن هذه اللعبة هي من اختراع المماليك، إذ لا يوجد ذكر لها سوى في المصادر المملوكية²، ويصف المقرئ هذه اللعبة بقوله: «والقبق عبارة عن خشبة عالية جدًا، تنصب في براح من الأرض، ويعمل بأعلاها دائرة من خشب، وتقف الرماة بقسّما وترمي بالسهم جوف الدائرة لكي تمرّ من داخلها إلى غرض هناك، تمرينا لهم على إحكام الرمي. ويعبّر عن هذا بالقبق، في لغة الترك»³.

ويعطي ابن تغري بردي وصفًا مختلفًا لهذه اللعبة بقوله: «وصفة ذلك أن ينصب صار طويل ويعمل على رأسه قرعة من ذهب أو فضة ويجعل في القرعة طير حمام، ثم يأتي الرامي بالنشاب وهو سائق فرسه ويرمى عليه، فمن أصاب القرعة وطير الحمام خلع عليه خلة تليق به، ثم يأخذ القرعة»⁴، وجاء في المعجم العسكري المملوكي أن مصطلح القبق أطلق كذلك على إحدى طرق رمي السهام، وهي رمي الفارس للسهم إلى الأعلى⁵.

وعلى الرغم من هذا الاختلاف في وصف لعبة القبق إلا أن الثابت والمتفق عليه أنّها لعبة مشهورة اعتاد السلاطين المماليك على ممارستها، وكذلك عساكر الجيش المملوكي تمرينًا لهم على الرمي بإحكام، فكانت تلعب في ميدان القبق وغيره من الميادين المذكورة آنفًا.

4. 6- لعبة اللبخة: اللبخة هي عصا كبيرة مصنوعة من خشب اللبخ استخدمت من قبل الفرسان في ألعاب الفروسية والقتال⁶، وهذه اللعبة تدريب جماعي تكون طريقة لعبها بتقابل مجموعة من الشجعان بالعصي، ويقوم أحدهم بمسك العصا من الوسط ويفرق عشرة من زملائه الذين يلعبون معه، وهي مؤذية، حيث تؤدي في بعض الأحيان إلى موت أحد اللاعبين، وهذه اللعبة تُعرف كذلك بالتحطيب في مصر حتى الوقت الحاضر وتعرف أيضا بالمطروق والتجريد⁷.

4. 7- السباحة: عُرف عن المماليك الميل إلى ممارسة السباحة في نهر النيل والعبور من ضفة إلى أخرى سباحة⁸، واستعملوها في حروبهم خاصة مع الصليبيين إذ يروي المقرئ رواية طريفة تتعلّق

1 - ابن دقماق إبراهيم بن محمد بن أيّدمر العلاني- الجواهر الثمين في سيرة الخلفاء والملوك والسلاطين- تج: سعيد عبد الفتاح عاشور- مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي جامعة أم القرى- المملكة العربية السعودية-1402هـ/1982م- هامش رقم 1 ص276.

2 - نصّار لطفي أحمد- المرجع السابق- ص202.

3 - المقرئ- المواظ والإعتبار- المصدر السابق- ج3- ص200.

4 - ابن تغري بردي- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة- المصدر السابق- ج8- ص16.

5 - العمارة- المرجع السابق- ص234.

6 - العمارة- المرجع السابق- ص264.

7 - إسرائيليان- المرجع السابق- ص73-74/ نصّار لطفي أحمد- المرجع السابق- ص267.

8 - المرجع نفسه - ص260.

بتفاصيل الحملة الصليبية السابعة على مصر التي قادها الملك الفرنسي لويس التاسع سنة 647هـ/1249م، ودخول عسكره لمدينة دمياط دون مقاومة تذكر، وأقام معسكره هناك ستة أشهر، وخلال تلك المدة كثرت عمليات أسر الجنود الصليبيين من قبل المسلمين، «حتى أن إنساناً قوّر بطيخة، وحملها على رأسه، وغطس في الماء حتى حاذى الفرنج، فظنه بعضهم بطيخة، ونزل حتى يأخذها، فخطفه وأتى به إلى المسلمين»¹.

ويذكر المقرئ في رواية أخرى أن الملك الظاهر بيبرس البندقداري قام بالعموم في النيل وهو لابس الزردية (درع يقي الجسم)، وهو يسحب عوامة كان يجلس فيها أميرين من أمراء «وجرها وجر فرسين وهُو يعوم لابس الزردية من البر إلى البر»²، وهذه الرواية وإن كان مبالغ فيها إلا أنها تعبر عن حب المماليك وسلطتهم للسباحة وبراعتهم فيها.

خاتمة: من خلال العرض السابق تم التوصل إلى النتائج التالية:

1- النظم التربوية والتنشئة العسكرية لدى المماليك البحرية، والتي تعتبر سرّ قوة دولتهم؛ هي نتاج لأنظمة الدول التي سبقت عهدهم كالسلاجقة والأيوبيين والفاطميين، إلا أنه في عهدهم تطوّرت واكتملت وبلغت أوجها.

2- خضع نظام التربية والتدريب عند المماليك البحرية على وجه التحديد للصرامة والجد، ولما أهمل هذا النظام في عهد الدولة الثانية (البرجية) ساءت أحوالها، مما عجل بزوالها على أيدي العثمانيين كما هو معروف.

3- مرّت تربية وتدريب المماليك بثلاث مراحل أساسية: تبدأ منذ صغر سنهم، مروراً بفترة شبابه حين يصبحون قادرين على المشاركة في الحياة العامة، وتحمل مسؤولياتهم في المجتمع، وصولاً إلى مرحلة العتق حين تبرز مواهب المملوك، فينخرط في صفوف المحاربين الأقوياء.

4- قامت تربية المماليك على أسس دينية، وذلك لما للدين من تأثير فعال على النفوس وشحنهم للهمم لمواجهة الأعداء، كالحرص على تعليم المماليك -الذين جيء بهم من بلاد العجم- وهم صبيان القرآن الكريم، واللغة العربية والخط، وكذا تلقينهم آداب الشريعة، وملازمة الصلوات والأذكار والتخلق بآداب الإسلام.

1- المقرئ- المواعظ والاعتبار- المصدر السابق- ج1- ص408.

2- المقرئ- السلوك لمعرفة دول الملوك المصدر السابق- ج2- ص83.

- 5- في سن البلوغ يبدأ المملوك تعلم الفنون الحربية بشكل نظري في مقدمتها الفروسية، وهذه بدورها تمر بعدة مراحل كما رأينا: بداية بركوب الخيل وصولاً إلى التدريبات الرياضية القتالية، التي يندرج ضمنها: السباق، لعبة الكرة والصولجان، لعبة القبق ذات المكانة الهامة عند سلاطين المماليك، الصيد والرمي بالبندق، ومنها أيضاً لعبة البلخة وهي رياضة جماعية يقوم بها مجموعة أشخاص، بالإضافة إلى السباحة، وهذه التدريبات تكون بعد العتق.
- 6- الألعاب الرياضية المذكورة هي بمثابة التدريب على فنون قتالية معينة: كتعلم الرمي ضد أهداف قتالية متحركة أو تتحرك بسرعة، أو للمحافظة على اللياقة البدنية، وقوة التحمل لعناصر الجيش المملوكي ما جعله دوماً على أهبة الاستعداد خاصة في فترات السلم، وأوقات الفراغ.
- 7- بعد الانتهاء من طور التدريب يصبح المملوك جاهزاً للتخرج بعد أن تهدأت أخلاقه واصطبغت آدابه بروح الإسلام، مع براعته في فنون القتال، وتكون مكافأته في النهاية العتق، وهنا يكون الإعناق بالجملة، يقام له احتفال خاص بحضور السلطان والأمراء، وذلك بناء على شهادة تسمى إعتاق أو عتاقة، ويواصل تمرّنه على الألعاب القتالية مثل لعب الصّولجان، والقبق، والصّيد... وسباق الخيل، ويظل جندياً موظفاً يترقى في سلك الرتب حتى يصل إلى الإمرة، وقد يصل إلى عرش السلطنة كما كان حال الكثير من المماليك المعتمدين.